الموسم

حديث مع الأمير كريم آغاخان

رياض نجيب الريس

- مستعد للوساطة بين دولتين إسلاميتين
- لا مانع عندي من القيام بدور دولي مؤقت
- أدعو إلى قيام جبهة إسلامية للتفاهم مع العالم الإسلامي
- الطموحات السياسية غير مسموح بها الآن
- على المسلمين التسلل إنسانياً إلى المجتمع الصناعي وعلينا إقناع الغرب بإدخال الإسلام في البرامج التعليمية
- للغرب موقف من الإسلام يعود إلى الحروب الصليبية لكن ما يخيف الغرب هو السياسة لا الدين
- أدعو إلى قيام جبهة إسلامية للتفاهم مع العالم الصناعي

● من هو هذا الرجل الذي اسمه الآغا خان؟

سؤال من ضمن عشرات الأسئلة التي كنت أحملها في طريقي إلى لقاء هذا الرجل -اللغز الذي شغل العالم الغربي لسنوات طويلة ولا يزال. زعيم مسلم من قبل، وأثار فيه كل فضوله بقدر ما حرك فيه كل مشاعر الرومانسية الاستعمارية منذ أيام التاج البريطاني في الهند وأساطير المهراجات والسلاطين في عصر ألف ليلة وليلة وإلى اليوم.

ولكنني حملت أيضاً السؤال الأهم:من يعرفه في العالم العربي بالذات، وماذا يعرف عنه العرب والمسلمون في الدائرة الشرق أوسطية؟ أي إمام هو، وماذا يمثل، وما هي طائفته، أهو آسيوي أم أوروبي أم عربي أم ماذا؟

أسئلة كثيرة حملتها معي، كانت كلها تحتاج إلى أجوبة لم أكن أملك منها شيئاً، عندما وصلت (أغلمون) تلك الغابة المسوّرة والمؤلفة من ١٠٠ هكتار أو يزيد بالقرب من بلدة (شانتيي) وعلى مسافة حوالي الساعة من العاصمة الفرنسية باريس، حيث يقيم ويعمل الآغا خان من خلال جهاز (أمم متحدة) مصغر فيه ٢٠٠ موظف ينتمون إلى ١٨ جنسية عالمية، ليس بينهم أكثر من ٢٠ موظف مسلم، وبكفاءة يحسده عليها بيريز دي كويلار الأمين العام للأمم المتحدة (في حينه).

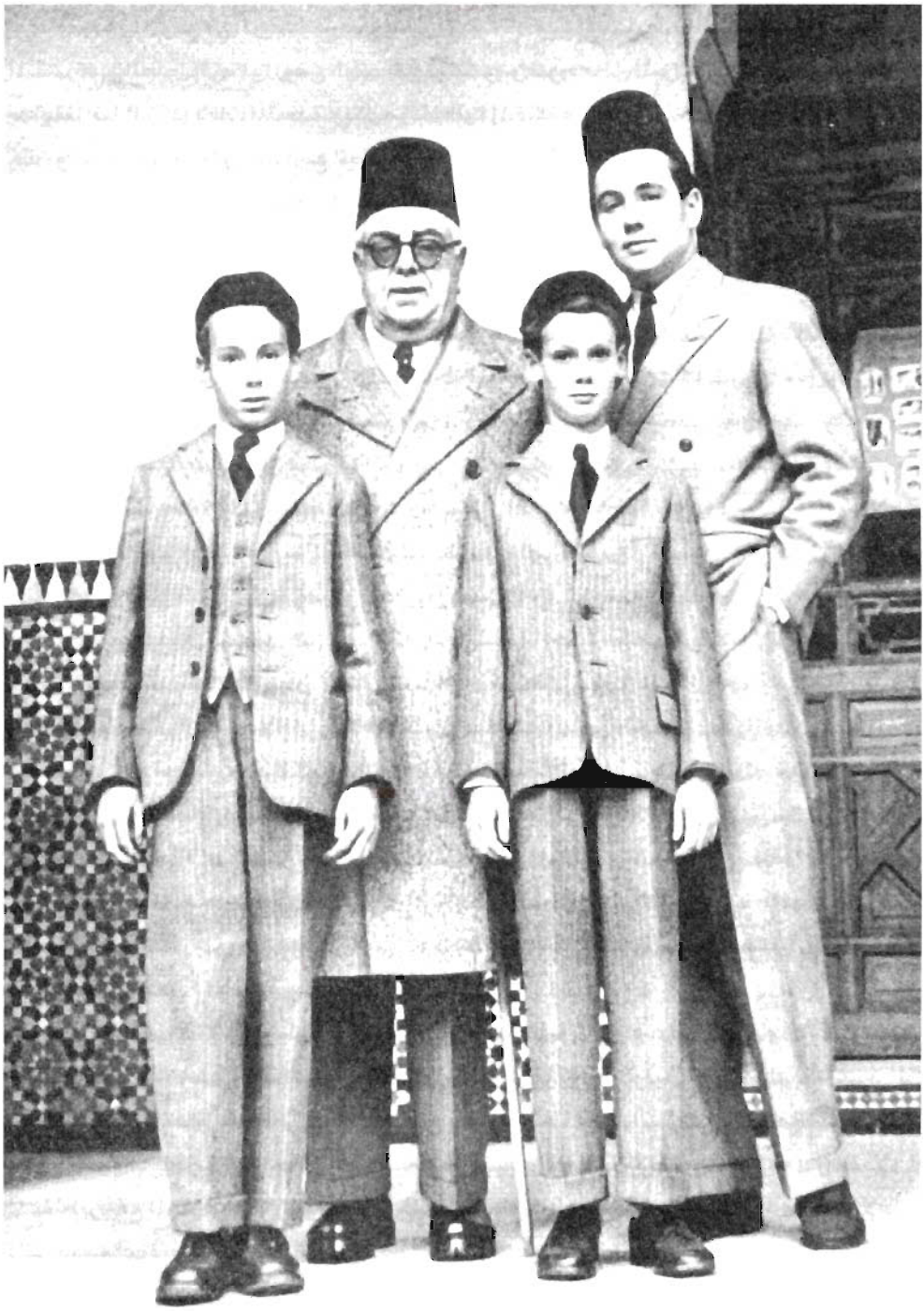

ومن هذا الموقع في الريف الفرنسي يدير الآغا خان ويشرف على أحوال الطائفة الإسماعيلية المنتشرة من الصين إلى كندا، ومن الهند إلى كينيا، ومن سورية إلى المغرب ومن إيران إلى بريطانيا، ومن تنزانيا إلى الولايات المتحدة، وبكل مؤسساتها المختلفة والمتشعبة -الخاص منها بأسرة الآغا خان والعام منها المتعلق بمشاريع الطائفة.

بانتظار هذا الرجل الذي اسمه الآغا خان كان لابد من الإجابة على السؤال الشاغل: من هو؟

هو كريم شاه الحسيني المعروف بآغا خان الرابع، الإمام التاسع والأربعون للمذهب الإسماعيلي، وقد تولى الإمامة خلفاً لجده السير سلطان محمد شاه آغا خان الثالث، في تموز (يوليو) ١٩٥٧ وهو في سن العشرين وقد ولد الآغا خان في جنيف في ١٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٦، ابنا للأمير علي خان والأميرة تاج الدولة (وهي إنجليزية) وأمضى سنوات طفولته الأولى في نيروبي بكينيا، ثم التحق بمدرسة (روزي) في سويسرا حيث درس لمدة تسع سنوات وتخرج من جامعة هارفارد سنة ١٩٥٩ حيث حصل على ليسانس الآداب بدرجة الشرف في التاريخ الإسلامي، وفي سنة ١٩٦٩ تزوج البيجوم سالمة التي ولدت في نيودلهي لأبوين إنكليزيين ونشأت وترعرعت في الهند، وقد أنجبا ثلاثة أولاد، زهرة (١٩٧٠)، ورحيم (١٩٧١)، وحسن (١٩٧٤).

والإسماعيليون ينتمون إلى أحد مذاهب الشيعة، إحدى طائفتي الإسلام الرئيسيتين، ويؤمنون بوصفهم مسلمين، بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن محمد هو خاتم الرسل والأنبياء وأن القرآن الكريم آخر رسالات الله نزلها على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس أجمعين.. هنا لابد من وقفة قصيرة مع التاريخ لتوضيح معالم هذه الصورة.

الحركة الإسماعيلية كانت في نشأتها الأولى تدعو إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، وبعد أن أعلنت وفاة إسماعيل رسمياً كما يستدل من التاريخ الإسماعيلي ساقوا الإمامة في عقبه، أي في ولده محمد الذي كان ينتقل في فارس والعراق وبلاد الشام وبعده ساقوها في الأئمة المستورين من ولده، وفي هذه الفترة ظهرت الحركة الإسماعيلية بمظهرها التنظيمي الذي خطط له الدعاة في العالم الإسلامي.

وظلت الحركة الإسماعيلية تعمل في السر حتى ظهور الإمام عبيد الله المهدي في المغرب، مؤسس الدولة الفاطمية هناك، التي كانت أول دولة شيعية إسماعيلية في الإسلام بعد عبيد الله تسلم الإمامة المنصور ثم المعز لدين الله فتح مصر سنة ٣٥٩هـ وأسس الدولة الفاطمية هناك، ومن ثم تولاها العزيز ثم الحاكم بأمر الله، ثم الظاهر ثم المستنصر بالله وبعد وفاة الإمام المستنصر وقع الخلاف بين ولديه نزار وأخيه المستعلي الذي تمكن من استلام الخلافة والإمامة بالقوة بمساعدة خاله الأفضل الجمالي قائد جيوش الدولة الفاطمية وذلك انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين: (مستعلية ونزارية).

أما المستعلية فقد استمر أئمتها بإدارة شؤون الخلافة في الدولة الفاطمية في مصر وبعد المستعلي جاء الآمر ومن ثم الطيب بن الآمر الذي يدعون أنه دخل كهف الستر والغيبة.

وفي هذه الفترة استلم أربعة وكلاء شؤون الخلافة وهم: (الحافظ والظافر والفائز والعاضد) وفي عهد العاضد استولى صلاح الدين الأيوبي على الملك وسقطت الدولة الفاطمية وتفرق شمل الدعوة الإسماعيلية بفرقتيها النزارية والمستعلية ومن ذلك الوقت عرفت المستعلية بالدعوة الطيبة أو (البهرة) كما يسمونها اليوم.

وأما النزارية فقد انتقلت إلى فارس حيث جعلت عاصمتها في قلعة (ألموت) وانضم إليها الإسماعيليون الذين كانوا يقيمون في لاد الشام وفارس والهند والسند وتسلسل منهم أئمة عديدون حتى عهد إمامة شمس الدين محمد حيث انقسمت إلى فرقتين:

■ الأولى: نادت بإمامة ولده الأكبر قاسم شاه تنفيذاً للنص الإمامي الصحيح، وساقت الإمامة في ولده حتى الإمام الحالي كريم شاه المعروف بالآغا خان (الرابع) وسميت بالآغا خانية.

■ الثانية: ساقت الإمامة في مؤمن شاه الابن الأصغر لشمس الدين محمد وأصبح لها بعض الأتباع في بلاد الشام ولكنها انقرضت بانقراض أئمتها سنة ٩٥٠هـ إثر وفاة طاهر شاه الثالث الشهير بالدكني كما تؤكد المصادر التاريخية (راجع مؤلفات الدكتور عارف تامر والدكتور مصطفى غالب).

يتضح في هذه العجالة التاريخية أن كريم الآغا خان الحلي، هو وريث الدولة الفاطمية وأن الإمامة الإسماعيلية مستمرة فيه وقد استطاع الآغا خان الجد أن يلعب أدوراً أساسية متعددة في حياته الطويلة فقد كان من مؤسسي الجامعة الإسلامية في الهند التي دعت إلى إقامة دولة إسلامية مستقلة في شبه القارة الهندية وكان محمد علي جناح مؤسس دولة باكستان إسماعيلي المذهب من البهرة وكان الجد أيضاً رئيساً لعصبة الأمم (١٩٣٧-١٩٣٨) وكان الأب علي خان سفيراً لباكستان لدى الأمم المتحدة أما عمه صدر الدين آغا خان فقد تقلد منصب المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (١٩٦٥-١٩٧٧(ثم أصبح المستشار الخاص لدى الأمين العام للأمم المتحدة وكان مرشحاً في دروتين سابقتين لمنصب الأمانة العامة).

ولا تزال بصمات الآغا خان الجد واضحة في المعالم في الكثير من التقاليد الإسماعيلية فقد كان الإسماعيليون يحيون يوبيل أئمتهم باحتفالات هي بمثابة تأكيد رمزي للوشائج التي تربط إمام الإسماعيلية بأبناء طائفته، وعلى الرغم من أن اليوبيل ليس له مغزى ديني، إلا أنه مناسبة لتأكيد التزام الإمامة أمام العالم بالعمل من أجل خير البشرية ولا تزال ذكرى الاحتفالات بيوبيل الآغا خان ماثلة في الأذهان ففي الأعوام الاثنين والسبعين لإمامته (١٨٨٥-١٩٥٧) احتفل الإسماعيليون باليوبيل الذهبي (١٩٣٧) والماسي (١٩٤٦) والبلاتيني (١٩٥٤) بتقديم ما يعادل وزنه من الذهب والألماس والبلاتين واستخدمت عائدات هذه الاحتفالات في تطوير عدد من

آغا خان الأول

آغا خان الثاني

مؤسسات الرعاية الاجتماعية والتنمية في آسيا وإفريقيا.

لكن الآغا خان الحالي أوقف هذا التقليد لذلك عندما مرت مناسبة اليوبيل الفضي احتفالاً بذكرى مرور ٢٥ سنة على توليه منصب الإمامة (تموز يوليو ١٩٨٣) لم يزن نفسه ولم يقبل تبرعات بالذهب والماس والبلاتين لكنه أطلق عدداً من مشاريع التنمية الاجتماعية والاقتصادية منها مشروع جامعة الآغا خان الدولية في كراتشي في باكستان.

وقد أدى اعتناق الإمامية الإسماعيلية كمذهب وفقاً لهداية إمام الزمان وتوجيهه والذي يفرض ولاء الطاعة للإمام إلى توطيد روابط الوحدة بين الإسماعيليين أينما كانوا كما أوجد مبدأ الاعتماد على النفس، شعروا بالانتماء إلى ذات إسلامية مشتركة لذلك عمد الإسماعيليون (الذين يعيشون في اكثر من ٢٥ بلداً أكثرهم في آسيا وإفريقيا والعالم العربي) إلى إيجاد مؤسسات اقتصادية وتربوية وصحية وسكانية واجتماعية مفتوحة لجميع مواطني البلد، أياً كانت أعراقهم أو أديانهم.

وساهم الإسماعيليون على مر العصور بقدر وافر في ازدهار الحضارة الإسلامية شمل كل جوانب الحياة الثقافية والفكرية والدينية للمسلمين فقد بنى جوهر الصقلي قائد الخليفة الفاطمي المعز مدينة القاهرة وأسسوا الجامع الأزهر وجامعة العلم في مصر، وبنوا مدينة المهدية

في تونس وأنشأوا الكثير من مراكز العلم في اليمن وفي فارس ولمع بفضل رعايته أئمة الإسماعيليون ونخبة من الفلاسفة والفقهاء وعلماء الطبيعة والرياضيات والفلك والعلوم منهم على سبيل المثال: القاضي النعمان والكرماني وابن الجزار وابن الهيثم وابن سينا وابن يونس وناصري خسرو، ونصير الدين الطوسي، وغيرهم.

وإذا كان ترابط الماضي والحاضر لا ينفصمان فإن وصول الآغا خان إلى قاعة الاجتماعات التي كنت أنتظره فيها، جعلني أنسى الماضي برمته وألتفت إلى الرجل الوسيم الملامح الذي دخل الغرفة في الموعد المحدد تماماً وبدأ بيني وبينه حديث عصري في مضمونه وأدواته استمر ثلاث ساعات.

قلت للآغا خان وقد جلس على رأس طاولة الاجتماعات الضخمة، وكان يترأس اجتماعاً لمجلس إدارة أحدى مؤسساته: إن الناس ترى تناقضاً بين كونك زعيماً دينياً مسلماً، الإمام التاسع والأربعين للإسماعيليين ووراءك ما يزيد عن ١٠٠٠ سنة من التاريخ الإسلامي المتصل وبين كونك رجلاً عصرياً يتعامل مع العصر الحديث بأدواته ووسائله ومفاهيمه، أليس هناك تناقض بين الشخصين؟

ابتسم الآغا خان وقال إن الله قد منحني نعمة الإسلام اعتقد أن الكثير من الأديان تجد من الصعوبة التأقلم أو العيش في عالم متطور، أما بالنسبة للمسلم، حيث وجود الله دائم فليس هناك في الإسلام انفصاماً ثنائياً بين الدين والدنيا وقد سعيت طوال حياتي لأن أعيش وأعمل ضمن هذه الفلسفة المتكاملة وأعتقد أن عدداً كبيراً منا نحن المسلمين ممن تلقى تعليمه في الغرب أو تشرب أفكاراً غريبة ينسى أن هناك تقاليد في المسيحية تعود إلى تعاليم القديس أوغسطين تفصل بحدة بين الدين والدنيا وهذه ليست من تقاليد الإسلام بل إن مفهوم الإسلام هو على العكس تماماً يفرض عدم الفصل بين الحياة والمجتمع وبين الطريقة التي تعيشها الناس وبين ممارستك لواجباتك الدينية إن معاني الحياة وأخلاقيتها وأهدافها هي كلها جزء من تكامل وحدة البيئة الإسلامية التي أؤمن بها وأعمل من خلالها.

قلت للآغا خان: غريب أنت هنا تتحدث بحماس عن وحدة الدين والدنيا في الإسلام، وأن الكثيرون من المسلمين الذين يتهمونك بأنك غربي أكثر مما يجب.

اتسعت ابتسامة الآغا خان وقال بصوت شبه متهدج: لا أدري كيف أنا مؤهل لأكون غربياً، سوى أنني أعيش في الغرب، وهناك ملايين من المسلمين يعيشون في الغرب ولكنهم ليسوا غربيين، أما إذا كنت تقصد الطريقة التي أعمل فيها فهذا صحيح فأنا أمارس أسلوباً غربياً لأنني تعلمت في مدارس الغرب وربما يتطلب نوع العمل ممارسة هذا الأسلوب الذي يعتاد عليه المرء في الغرب والسعي لتحقيق نتائج فعالة كضغط الوقت مثلاً والسعي دائماً للبحث عن فعالية ما. هذه الأشياء مجتمعة قد تعطي هذا الانطباع.

● ولكن لماذا تعيش في الغرب؟ أن في إمكانك أن تعيش في أي مكان تختاره وخاصة أن الإسماعيليين موجودون أساساً في آسيا وإفريقيا ماالذي حدد لك هذا الخيار؟

بالدرجة الأولى حتى لا يفهم بأن (الإمامة) هي مؤسسة من مؤسسات دولة ما، وأنها تابعة لتلك الدولة وبالتالي لكي تبقى (الإمامة) مؤسسة غير سياسية وعالمية وأن من الصعب على المسلم اليوم أن لا يرتبط في حياته العامة ببلد ما أو فلسفة ما أو موقف ما بالدرجة الثانية لأنني معني بالفعالية التي أريد أن أعمل من خلالها فما زال هنا إلى اليوم عقبات تواجه العمل في أي بلد من بلدان العالم النامي، المواصلات والاتصالات صعبة، توفر أشخاص ذوي كفاءات عالية صعب، ظروف العمل نفسها قد تكون متعبة وبالتالي أي قرار سيتخذ هناك سيكون قرار تسوية.

بالطبع ليس هناك قراراً كاملاً ولا يمكن أن يكون هناك قرار مثالي لذلك لابد من تسوية في الاختيار، وجودنا في أوروبا خلق لنا مشكلة النظرة إلينا وإدراك ماذا نفعل هنا ولو كنا في أي دولة من دول العالم الثالث لطرح الناس السؤال نفسه: ماذا نفعل هناك؟ ولكنك لو سالت الناس في الهند أو باكستان أو شرق إفريقيا ماذا يفعل الآغا خان؟ لعرفوا لأننا نصرف ٩٩بالمائة من الوقت يومياً في حل هذه المشاكل.

● قد يكون هذا صحيحاً في آسيا وإفريقيا حيث كما يبدو يعرف معظم الناس ماذا يفعل الآغا خان ولكن في العالم العربي الكثير من الناس لا يعرف عنك أي شي ومن الملاحظ أنه على الرغم من الحركة الواسعة التي تقوم بها في العديد من أقطار العالم النامي إلا أنه ليس لك في العالم العربي أي نشاطات تذكر وكأن تتفادى الظهور، هل هذا هو موقف متعمد؟

دعني أحاول أن أجيب بشكل عادي أولاً لأسباب خاصة بي أعتقد أن (إماماً) وضعي لا يريد أن يكون وسط الأضواء دائماً ومن ثم ان هناك حساً شخصياً بالتواضع يجعلني أتفادى الوهج الإعلامي. ثانياً: من ناحية المشاريع التي نقوم بها قد يكون من المفيد أكثر لفعلتها ومصداقيتها ألا تكون الأضواء مسلطة عليها باستمرار لأن من الضروري أن تثير هذه الأعمال نقاشاً حولها وأنا لست من الذين يسعون إلى النقاش في سبيل النقاش.

أما من ناحية العالم العربي فإن هناك مجموعة من النشاطات التي نقوم بها، كجائزة الآغا خان للعمارة مثلاً وسنفتتح فرعاً لمؤسسة الآغا خان الشهر المقبل في مصر حيث يمكننا تطوير مجموعة من المشاريع الإقتصادية والاجتماعية منها قطاع التنمية الريفية والزراعية كذلك سنزيد نشاطاتنا في العالم العربي ضمن اختصاصات واهتمامات المؤسسة التي هي القطاعات الإنمائية.

● لكن ما زال هناك من ينتقد اهتمامك الواسع ونشاطك الكبير في شبه القارة الهندية، واهتمامك الأقل في العالم العربي، على الرغم من وجود أتباع لك فيه.

لأنني بطبيعتي رجل حذر.

● أنت تمثل (قصة نجاح) في الغرب بعد أن قضيت سنوات وأنت تتعامل معه، حتى أن هناك من يقول بأنك (هزمتهم في لعبتهم) بينما فشل فيها غيرك من أصحاب المشاريع الخيرية والتجارية.

لا أظن أنني (هزمتهم في لعبتهم) كما تقول: حتى أحقق نجاحاً في الغرب لقد كنت محظوظاً بأنني تلقيت تعليماً جيداً مما وفر لي أن أتعلم لغة الحوار بين الناس وأعطاني فهماً لحقية مجريات الأمور، الأمر الآخر الذي ساعد في نجاحي أن برامج مؤسسة الآغا خان قد حقق قدراً كبيراً من المصداقية الجدية، بالنسبة للمشاريع التي قمنا ونقوم بها سواء في العالم الثالث أو في الغرب، لقد اتبعنا طريقاً حكيماً في مشاريعنا الإنمائية إذ لم يكن فيها أي نوع من المضاربة فعندما تتعامل مع العالم الصناعي، وهو عالم شغوف بقضايا التنمية، إنما له نظرياته الخاصة فيها وهم عالم لا يحب الناس المضاربين والنظريين بل عالم محافظ تقليدي، عليك أن تحقق مصداقية عالية.

● إن الكثيرين من الناس في الغرب ينظرون إليك كرجل أعمال لا كزعيم ديني ألا تعتقد أن نجاحك في هذا المضمار يقلل من مكانتك كإمام؟

قد يكون من المفيد أن أؤكد أمرين الأول أن شناطي في ميدان الأعمال الخاصة كانت مجرد صدفة وقد يهمك أن تعرف مثلاً أنه لم يكن لي خيار في موضوع الخيول التي أمتلكها لولا أن والدي قد توفي في حادث سيارة ، وترك ثلاثة أولاد، اثنان منهم لا يريدون الاستمرار في تربية الخيول وكان علي أن أقول لا أو نعم، لعمل له استمرارية أجيال في عائلتنا ولم أكن أفقه شيئاً فيه، وقلت أنها مجازفة واتكلت على الله، ونجحت والثاني الاستثمارات السياحية لقد استثمرت شخصياً مبلغاً متواضعاً مع جماعة آخرين في جزيرة (سردينيا) في وسط البحر الأبيض المتوسط وقد تحول هذا الاستثمار البسيط خلال عشرين سنة إلى مشروع سياحي ضخم في العالم الصناعي والآن نبني جسوراً بين هذا الاستثمار الخاص في الغرب وبين مؤسسات خاصة كالإنماء السياحي في العالم الثالث الذي يحتاج إلى هذا النشاط الاقتصادي لكنني لم أولد لتكون مهمتي أن أكون رجل أعمال في الغرب هذه صدفة نمت مع تطور حسن الإدارة وكان الذين حولي يقولون لي: مادامت هذه المشاريع ناجحة لم لا نستثمر فيها.

لكن دعني أؤكد لك أنني إذا شعرت بأي اعتراض من قبل جماعتي أو بين دول العالم الثالث التي أعمل فيها أو أن هناك تعارضاً بين هذه الأعمال وبين كوني إماماً، لتخليت عنها فوراً ، إنها ليست من مهمتي كأمام وهي لا تشكل إلا جزءاً صغيراً من نشاطاتي لكنها مادامت لا تتعدى الحدود المسموحة فيها فلم لا إنما أعود وأؤكد أنني سأتركها بلا تردد ساعة تصبح عبئاً.

● بين كونك زعيماً دينياً وكونك رجل أعمال، أليس هناك في الوسط طموح سياسي يعتمر في داخلك وخاصة أن جدك ووالدك لعباً أدواراً سياسية في حياتهما؟

إن الدور الذي يجب أن أقوم له لا يسمح بوجود أي طموحات سياسية في عالم اليوم، كان

الأمير كريم خان

ذلك مناسباً وربما مقبولاً قبل خمسين سنة فقد كان جدي رئيساً لعصبة الأمم وكان والدي سفيراً لدى الأمم الممتدة وكان عمي مفوضاً في الأمم المتحدة كانت أدوار عائلتي كلها أدواراً دولية في السياسة لم يعملوا لدولة ما إنما لقضية ذات أبعاد دولية لذلك فإن أي طموح أو عمل سياسي يجب أن يكون في الإطار الدولي لا في الإطار القطري أو الوطني.

● هل أنت مستعد للقيام بمثل هذا الدور؟

لم أفكر فيه ولم يعرض علي

● لو دعيت للقيام بدور دولي ما فهل تعتقد أنك مؤهل ذلك؟

أعتقد ذلك إذا كان عملاً غير دائم، حيث تكون هناك قضية ما أو حيث أعتقد أنني أستطيع أن أضيف أمراً ذا قيمة عندئذ أقبل.

● لنقل وسيطاً دولياً بين دولتين إسلاميتين في حالة حرب مستمرة منذ عدة سنوات..

نعم، نعم إذا قالت هاتان الدولتان المسلمتان أننا نريد وسيطاً دولياً مسلما ومستقلاً وذا مصداقية عالية ليساعدنا في التوصل إلى حل تفاوضي ولا نريد أن نحيل هذا الأمر إلى هيئة أو لجنة أخرى عندئذ سأنظر في الأمر وأرى إذ كنت أملك الكفاءة للقيام بهذا الدور أم لا وإذا وجدت نفسي غير مؤهل لذلك فسأعتذر ولكنني لن أقبل القيام بدور دولي دائم.

● هل تعتقد أن هناك صحوة إسلامية اليوم تدفعنا لإعادة النظر في علاقاتنا بالعالم؟

كثيرون يطرحون هذا السؤال وأعتقد أن معظم المسلمين في مختلف أنحاء العالم يلحون في أسئلة من هذا النوع كيف نعيش في هذا العصر؟

كيف نتفاعل مع مادية العالم غير المسلم؟ كيف نتعامل مع العلوم الحديثة؟ ما هي العلاقة في حياتنا اليومية بين الدين والمجتمع الذي يحي بنا والذي يتغير باستمرار.. أسئلة تتردد على لسان كل مسلم ومن بينهم الإسماعيليون والإسماعيليون الذي استجابوا تقليدياً وعبر العصور لهذه الأسئلة، لا يملكون وحدهم الإجابة عليها، وإن عبروا عنها بطريقتهم الخاصة بهم، فقدرة البحث عن إجابة لهذه التساؤلات هي ملك كل مسلم حيث لابد أن يوقده إيمانه للتعامل مع هذه الإشكاليات.

● إذن كيف يجب أن يتعامل المسلمون -بل يواجهوا- العالم الصناعي؟

تساءلت باستمرار خلال هذا الحوار عن العيش وسط المجتمع الصناعي في الغرب والقضايا التي تثيرها هذه الحياة لدى كل مسلم، وكيف يواجهها، خذ على سبيل المثال: هناك مسلمون

إسماعيليون يعيشون اليوم في العالم الصناعي أكثر من أي وقت مضى في كل تاريخهم.

وأعتقد أن هذا أمر مستمر وسيزداد مع مرور الزمن، وعلى الإمام أن يواجه هذه القضايا لذلك فإن وجودي في الغرب يعطيني التجربة في التعامل مع هذه المشاكل والتصدي لها من خلال البحث والحوار الدائم مع غيري من المسلمين الذين يعيشون في الغرب كلنا نعاني ونواجه المشاكل نفسها.

• لكن هذه المواجهة تحدث في الوقت الذي لا يرى العالم الصناعي الإسلام إلا بأشكاله السلبية. فالمسلمون في نظر الغرب إما إرهابيون أو ثوار أو مخربون، فهل ترى بأن الإسماعيليين ولك بالذات بصفتك الزعيم المسلم الأطول إقامة والأكثر تجربة في التعامل مع الغرب -دوراً في تصحيح هذه الصورة.

أعتقد أن القضية الأولى التي يجب أن يواجهها كل مسلم من الذين يعيشون في العالم خلال جيلين أو ثلاثة أجيال مقبلة، وسيكونون شباباً لا يملكون أي اتصال شخصي بتقاليدهم العائلية وخلفياتهم الثقافية ولا ببلدانهم الأصلية وعلى الأغلب لن يتحدثوا لغاتهم الأم - العربية أو الأوردية أو الفارسية مثلا- ولن يكون هناك احتكاك بينهم وبين لغتهم وثقافتها وحضارتها هنا بالذات مجموعة أسئلة أساسية: كيف يتفاعل ويترابط هؤلاء الناس مع ثقافتهم وخلفياتهم التقليدية وفي الوقت نفسه كيف يتعاملون ويترابطون مع ثقافة وحضارة ولغة المجتمع الصناعي الذي يعيشون فيه إن كل المسلمين سواء كانوا سنة أو شيعة يواجهون هذه المشكلة من هذا المنطلق علينا أن نسأل كيف يمكن أن تترابط تقاليدنا الإسلامية وثقافتنا مع المجتمع الصناعي من دون أن نفقد الاثنين معاً.

هنا نستطيع أنا والإسماعيليون وغيرنا من المسلمين أن نلعب دوراً عن طريق ما يمكن أن أسميه (التسلل الإنساني) للمجتمع الصناعي بحيث ينظر إلى الإسلام ليس كدين فقط بل كطريقة حياة، كتاريخ نادر الوجود، كتقاليد، كثقافة شمولية، عليها أن تندمج بطريقة ما في مجرى الثقافة والتقاليد الإنسانية المتبقية في ذلك المجتمع الصناعي وبحيث لا تحصر خارج المجتمع الصناعي بل تدخل إلى صلبه، ومن الممكن أن يحدث هذا لأننا كمسلمين نمثل ٨٠٠-٩٠٠ مليون نسمة ولأننا نمثل ثقافات لا حد لتنوعها وروعتها التي لا يمكن أن يتجاهلها العالم، ولأننا نمثل تقاليد وأنماطاً مختلفة من التقاليد والتجارب الاقتصادية.

الأمير في شبابه

يبقى السؤال الأهم: كيف يمكن أن ننجح في جعل هذه التقاليد جزءاً أساسياً من المجتمع الصناعي؟

● كل هذه نوايا حسنة، لكنها لا تشكل مدخلاً تطبيقياً كيف يسمح لك المجتمع الصناعي بالتسلل إليه إنسانياً؟

إذا استطعنا أن نظهر الإسلام بنوره الحقيقي، فلا أشك إطلاقاً بقدرتنا على التسلل إلى المجتمع الصناعي إنما ذلك يتوقف على المسلمين في الغرب وخارجه ليقدموا تقاليدنا وثقافاتنا وفلسفتنا ومناقبنا بطريقة يفهمها الناس ويتفاعلون معها بحيث لا تحظى بتقديرهم فقط، بل يكون مرغوباً فيها أيضاً.

● لكن الغرب بطبيعة تاريخه الاستعماري وفلسفته السياسية هو معاد لنا كمسلمين وبالتالي لا يمكن أن يكون حيادياً تجاهك ليسمح لك بالتسلل إليه.

لقد وضعت أصبعك على القضية بسؤالك: فلابد أن يكون هناك إجماع في الرأي يشكل وحدة هدف بين المسلمين فيه من الحكمة والشرف ونبل المقصد بحيث يدفع المسلمين إلى العمل المشترك وإذا كان هناك خلافات أو فروقات سياسية أو غيرها بين المسلمين فعلينا أن لا نظهر هذه الخلافات وكأنها هي التي تمثل الإسلام أو المسلمين بالطبع في هذا نوع من المجازفة، لا بأس فليس في الدين الإسلامي حسب إيماني العميق أي عداء جوهري بينه وبين الأديان التوحيدية الأخرى.

● لابد أن ألح عليك بالسؤال كيف تنقل هذا الأمر إلى الصعيد العلمي، وأنت تعرف بأنك لو جمعت ثلاثة مسلمين لشكلوا أربعة أحزاب سياسية.

إن الانطلاق بهذه الفكرة إلى الصعيد العملي يبدأ من التعليم يبدأ من المدارس قبل الابتدائية ويبدأ من إيصال رسالتنا عبره فكلنا يعرف ان كل الأديان الأساسية تدرس في مدارس الغرب، إلا الدين الإسلامي لذلك يتضح أن الغربيين وغير المسلمين ليس عندهم أي معلومات عن العالم الإسلامي وهذا بحد ذاته أمر لا يصدق ومن ثم فإن تقاليدنا الإنسانية وهندستنا المعمارية وآدابنا لا يعرف أحد شيئاً عنها في الغرب إلا عن طريق الكتب الملونة الإعلانية وبالتالي لم ننجح في إظهار ثقافتنا بأنها ثقافة حية وخلاّقة ومفكرة ولعل هذا هو الهدف الأساسي من وراء جوائز العمارة فالآثار الرائعة التي تصورها هذه الكتب الإعلامية عظيمة بحد ذاتها ولكنها ليست هي الثقافة الإسلامية كما تحيى اليوم بيننا لذلك حاولت أن أنقل صورة واحدة متكاملة للعالم الإسلامي بتعدديته، وبلغاته المختلفة وبتفسيراته المتشعبة للدين وبخلفياته العرقية والجغرافية المتعددة؟

● ولكن كيف نقنع الغرب بإدخال الدين الإسلامي في برامج التعليم؟

سأكون صريحاً أنه حق من حقوقنا وعلينا أن نمارس هذا الحق عن طريق الحركات الطالبية وما نمثل فيها وبالطرق والوسائل الديموقراطية المتاحة لنا فقط، إلا أن الأسلوب الذي نعرض فيه قضيتنا هو الأهم وهذا الأسلوب لا يعني أننا نريد أن نبشر أو نهدي الأولاد المسيحيين إلى

الدين الإسلامي أو أي أمر قد يشتم منه ذلك ما نحاوله هو أن نضم تقاليدنا الإسلامية ممثلة وبإنصاف في البرامج التعليمية الغربية.

● ولكن الغرب لابد وأن يقاوم هذه المحاولة ولو كانت تشكل ممارسة لحقوقنا الديموقراطية في العالم الصناعي.

قد يكون صحيحاً أن هناك موقفاً دينياً تقليدياً ضد الإسلام في الغرب وموقفاً سياسياً يعود إلى الحروب الصليبية إنما هذا في الماضي، لذلك لابد للعالم الصناعي الحديث أن يقلع عن هذه العقلية إن وجدت فالغرب يخشى أن يكون إدخال ثقافة ودين جديد إلى تعليمه له أهداف سياسية أكثر مما يخشى على مسيحيته من الإسلام إن ما يخافه هو السياسة لا الدين. لذلك يتردد في ان يفتح الباب أمامنا، فيجد نفسه مضطرا إلى فتح أبواب مماثلة أمام كافة الأقليات العرقية والدينية في بلاده. إنما بصراحة، فالأمر يتوقف علينا، اذا استطعنا ان نقدم قضيتنا بطريقة عادلة وأخلاقية. ونحن لن ننجح في كل مكان. قد نفشل في بلد وننجح في بلد آخر. لكن الطريق يكون قد فتح أمامنا، والزمن إلى جانبنا. فعالم اليوم لم يعد باستطاعته أن يتجاهل العالم الإسلامي. الدنيا تغيرت وعلينا ان ندفع بهذا التغيير إلى الأمام.

● هل أنت على استعداد لأن تعمل مع غيرك من زعماء المسلمين، من مختلف الاتجاهات والأقطار،في سبيل إرساء هذه الفكرة؟

قطعا وبلا تردد. سأعمل مع أي زعيم مسلم يريد ذلك، وبعقلية مفتوحة وروحية تعاونية إلى أبعد الحدود. لأنني أؤمن بأن هذه القضية تحتاج إلى جهد مشترك. فالشيء الأساسي الذي يجب أن نظهره أمام العالم الصناعي هو أننا نمثل ثقافة مشتركة ليس فيها أي طموحات سياسية، بمعنى أننا لا نسعى لتغيير موقف هذه الدول سياسيا. بل يجب أن نفصل بين الموقف السياسي للدول الغربية، وبين قضية الدعوة لإدخال الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي إلى برامج التعليم. علينا أن نفسح المجال أمام اللعبة الديمقراطية في الغرب لتأخذ مداها، وان نمارس حقنا من خلالها في التعبير عن مختلف آرائنا. وعلينا أيضا ان نصحح الصورة الماثلة أمامهم عن الإسلام: اما هو أداة سياسية للتغيير، واما هو وسيلة ثورية للتبشير. علينا ان نعيد التوازن إلى هذه الصورة. فالعالم الإسلامي لا يرى المسيحية من خلال ما يمثله جيش التحرير الايرلندي مثلا، الذي يعتبر حركة سياسية شبه دينية ذات أهداف سياسية. وبالتالي على الأوروبي والأمريكي ان لا يريا الإسلام من خلال ما تمثله حركات مماثلة أو معينة.

● وكيف تغير هذه الصورة المزدوجة؟

بالهجوم على مختلف الجبهات.

● هل أنت على استعداد للقيام بهذا الهجوم؟

وهل سمعت أنت بجيش من رجل واحد؟

● هل أفهم انك على استعداد للعمل مع شخصيات إسلامية أخرى للوصول إلى هذا الهدف وبالتالي توسيع دائرة مؤسساتك؟

بكل أمانة أقول.نعم. لأنني مقتنع بأنه الطريق الوحيد لكي تجد الأمة الإسلامية توازنا لها وحضورا في العالم الصناعي.

● ما هي شروطك لذلك؟

من الغباء الادعاء، بأن أقلية إسلامية صغيرة، تستطيع وحدها إحداث هذه التغيرات المطلوبة في العالم الصناعي لذلك فالقضية تتطلب تظافر جهود كافة المسلمين، وليس لي من شرط إلا أن يكون هناك إجماع على الأرضية، أي القضية والأهداف التي نعمل من أجلها وإذا كان هناك إجماع على الأرضية فلابد أن يكون هناك إجماع على الأسلوب أو الطريقة التي سنعمل من خلالها ومن بعدها يجب أن يكون هناك إجماع على وسائل التنفيذ؟

● هل بدأت بأي خطوات في هذا الاتجاه؟

إن خطواتنا -بصراحة- مازالت في بدايتها والأسباب كثيرة منها أن العالم الإسلامي عالم شاسع فيه العالم العربي وآسيا وإفريقيا واليوم العالم الصناعي وهناك تقاليد مختلفة وأساليب للاتصال متعددة مما يجعل الأمر في غاية التعقيد.

وكثيراً ما أخشى إذا قمت بالمبادرة أن تكون ردود الفعل عكسية فأنت تعلم أن العالم الإسلامي والعالم العربي منقسمين اليوم سياسياً ومذهبياً واقتصاديا لذلك علينا أن نبحث عن قاسم مشترك يشكل إجماعاً على الأهداف والأسلوب والوسائل في المدى الطويل لكنني لا أريد إذا بادرت بهذا الاتجاه أن أكون عامل انقسام جديد في العالمين الإسلامي والعربي يضاف إلى عوامل الانقسام الأخرى فيه لكنني إذا كنت عاملاً توفيقياً فأنا لها وعلى استعداد للتحرك في هذا الاتجاه فوراً إن شاء الله.

● عند كلمة إن شاء الله. كان لابد لهذا الحديث الطويل أن يتخذ مجرى آخر غير قابلة للنشر وبعدها قلت للآغا خان وأنا أودعه على باب مبنى السكرتاريا في (أغلمون) وسط تلك الغابة من الأشجار الباسقة، مع تقديري البالغ لكنك رجلاً حذراً، فقد اكتشفت أنك في الوقت نفسه رجل متفائل. كيف يمكن أن تصل إلى إجماع في الرأي في هذه الأمة، حتى لو كان إجماعاً على الحكمة أو إجماعاً في الطموح؟

ضحك الآغا خان وهو يمد يده مصافحاً ومودعاً وقال لي: إن الله على كل شيء قدير.. وهطلت الأمطار فقد كان يوم شاء بارد وشعرت بالدفء.

مجلة المستقبل العدد ٥١٣ السنة ١٠ (السبت ١٩٨٦/١/٣٠) حرف ١٢